بين الفن والنقد

للأستاذ عبد المنعم خلاف

قالت لى نفسى بعد شهودها معركة للنقد بين جماعة من أصدقائى لحق منها مؤسسين عظيمين من مؤسسى الأدب الحديث جملة من الموت أذكر أنها لم تكن لتلحقهما لو مضيا من الحياة ولم يتركا بينهما العظيم :

« حطم قلمك ! وأغلق أقفالى علىّ ، واتركنى أمضى من الحياة من غير صوت ولا ذيول يتعلق بها كل متجن وعابث . ودعك من أسطورة الخلود ... تلك التى تفتنكم وتجركم إلى النزاع وإضافة تعبيرات جديدة إلى سجل الشتائم المهذبة الخالدة المذاعة وقل فى تلك الأسطورة ما قال المازنى الأديب الساخر منذ سنوات فى صحيفة البلاغ : « طُزّ ! »

فقلت لها يا نفسى : ألم تعلمى فى سنن الحياة أن لكل شىء وجهين : وجه جمال ، ووجه قبح ؟ ألم تحفظى قول القائل :

تقول هذا مجاج النحل تمدحه ... وإن تذم تقل قىء الزنابير

« والعظيم دائماً يحظى بشرف المبالغة من أنصاره وأعدائه »

وتاريخ الآداب والفنون والعلوم مملوء بالمعارك العنيفة بين المنتج والناقد وأنصارهما . ولم يفد الأدب والعلم بقدر ما أفادا من النقد على شريطة الانصاف فيه والبعد عن المهاترة وتسقط العيوب وإدخال النوازع الشخصية فى موازينه

غير أن المنتج غيور على إنتاجه، فتارة يجهد نفسه فى التجويد والتهذيب والتنقيح قبل أن يعرض نتاجه كما كان يفعل زهير فى حولياته . وتارة لا يلق باله إلى كلام النقاد ولا يحفل رضاهم أو سخطهم ما دام هو راضياً عن نفسه ، كما قال الفرزدق لناقد احتار فى إعراب كلمة من شعره « علىّ أن أقول وعليكم أن تعربوا » وكما قال المتنبى :

أنام ملء جفونى عن شواردها ... ويسهر الخلق جراها ويختصم

وكما قال الأستاذ العقاد فى تقدمة ديوانه :

هـذا كتابى فى يد القراء
ينزل فى بحر بلا انتهـاء
... ...
فليلق بين القدح والثناء
ما شاءت الدنيا من الجزاء

وكما هو شعار برنارد شو الذى يستدفئ بموقد كتبت على حافته هذه الكلمة :

« إنهم يقولون ... ماذا يقولون ؟ دعهم يقولون ... »

وتارة يحمل المنتج على النقاد فيخافون لسانه ويقرظونه أو يسكتون عنه كما كان يفعل ابن الرومى

وتارة ينال المنتج من الناقد تأره كما قال شلى الشاعر الانجليزى « ماعدا أمثلة نادرة لا يمثل النقاد سوى سلالة غبية خبيثة . وكما يتحول اللص المفلس إلى خفير كذلك يتحول المؤلف العاجز إلى ناقد ! » وقال كولردج « النقاد هم عادة أناس كان ينتظر أن يكونوا شعراء ومؤرخين وكتاب سير لو استطاعوا . وقد جربوا مواهبهم فى هذا أو ذاك ففشلوا؛ ولذلك انقلبوا نقاداً »

غير أن من القليل النادر أن تجد هـذه الغيرة من الفنان والمنتج تبدو فى صورة « الكبت » أو « الوأد » ولن يقدم على ذلك أديب أو عالم محترف أو مؤمن بنفسه يريد أن يفرضها على التاريخ؛ وإنما هو أحد رجلين : رجل « هاو » يجمع إلى إنتاجه وفنه حرفة أخرى يلابس الحياة بها وينال احترام الناس منها، فلن يضيره أن يتخلى عن إذاعة فنه عند ما يرى أنه سيجلب عليه تنغيصاً ومحنة وعداوة من حيث يرجو الترفيه والحب ؛ كما قال المتنبى (أعادى على ما يوجب الحب للفتى) ؛ أو هو رجل شاك فى نفسه رافع ثقته فيها لا يراها إلا بعيون الناس ، فاذا قالوا لها أو عليها فهو وما قالوا

والأستاذ عبد الرحمن شكرى والدكتور الشاعر ابراهيم ناجى مثلان مضروبان للرجل الأول فى عهد من عهودها بين يدى هذا العصر ؛ كما يضرب أبو حيان التوحيدى الأديب الحكيم المتوفى سنة ٤٠٣ هـ مثلا فى العصر القديم ، فقد أحرق مؤلفاته ولما سئل فى ذلك أجاب : « شق على أن أدعها لقوم يتلاعبون بها ويدنسون عرضى إذا نظروا فيها ويشمتون بسهوى وغلطى إذا تصفحوها ويتراءون نقصى وعيبى من أجلها »

هذه صور من غيرة المنتج ، فى بعضها يصل الناقد إلى حد الجناية لأنه يحمل بعض النفوس على الكبت أو الوأد لما لابد أن يشتمل على نفع كثير للانسانية بجانب ما عساه أن يكون فيه من ضرر أو تفاهة . نعم إن بعض المنتجين يعرضون أشياء تافهة أو مكررة تستحق التزييف وتأديب أصحابها لأنهم لم يعوا معنى

كلمة الجاحظ « ينبغي لمن يكتب كتاباً أن يكتبه على أن الناس كلهم له أعداء ، وأنهم أعلم منه بما يقول . وإن لا بتداء القول فتنة وعجبا » . ولا قول الآخر : « من ألف فقد استهدف »

غير أن هذا كله ليس مبرراً لتهجم الناقد على نفس المنقود وذهنه ، وليس داعياً إلى تحطيم حرماته وإهدار قداسته الطبيعية التي هي له حق طبيعي من قبل أن يخط حرفاً أو يعمل عملا هو فيه حسن النية لا ريب ؛ إذ أنه يريد أن يشارك به في الجهود الانساني . فاذا لم ينل الشكر فلا أقل من ترك حرماته من غير تجريح

وأذكر أنني قرأت منذ عشر سنوات لكاتب تونسي لا أذكر اسمه كلمة في مقدمة كتاب ألفه ، تفيض باسترحام القارئ ليغضي عما في الكتاب من نقص يجده؛ إذ أن مؤلفه كتبه بضياء عينيه ساهداً في جوف الليل ليسعد به قارئوه الذين كانوا نياماً في ذلك الوقت . وهو معنى جميل لو وضعه الناقد أمام عينيه لوقف وقدر ثم وقف وقدر كرتين قبل أن يعمل قلمه بالنقد المسلح الجارح

وأظن أن كاتبا ما ، لم يحمل قلمه ويخط به حرفا إلا وهو يضمر مع ما يضمر من شهوة خلود الذكر أو الشهرة ، النفع وتنمية الميراث الفكري . وهذا وحده يحتم علينا احترام اتجاهه تشجيعا له ولنيره . اللهم إلا الكاتبين الهدامين الذين في تركهم أو تقديرهم خطر؛ فأولئك يجب هدمهم بالنقد وإهدار حرماتهم كما أهدروا حرمات المجتمع .

وما أجمل مذهب القائل — وأظنه شاعرا سوريا أو لبنانيا معاصرا — :

أيها الناقص أعمال الورى ... هل أريت الناس ماذا تعمل ؟
لا تقل عن عمل : ذا ناقص ... جئ بأوفى ثم قل : ذا أكمل
إن يغب عن عين سارٍ قمر ... فحرام أن يعاب المشعل

القاهرة — عبد المنعم خميس

تحت الطبع :

حيـــاة الرافعي

للاستاذ محمد سعيد العريان

الاشتراك فيه قبل الطبع ١٠ قروش تدفع إلى إدارة الرسالة

ثمن الكتاب بعد الطبع ١٥ قرشاً

جورجيـــاس

او البيان

لافلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٩ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأكملها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة ! »

« رينوفييه »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جيش الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »
٢ — جورجياس : السفسطائي : « ج »
٣ — شيريفين : صديق سقراط : « س »
٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »
٥ — كاليكليس : الأثيني : « ك »[1]

ط — (رداً على جورجياس) وإذا فاتر الآن إذا كنت أستطيع أن أشرح لك ما أريد أن أقول بوضوح أكثر . عندنا من الفنون بقدر ما عندنا من الجواهر[2] ؛ وأحد هذه الفنون يختص بالنفس وأدعوه « السياسة » ؛ والآخر يختص بالجسد ولست أجد له الآن اسماً مفرداً وإن كنت أميز في وحدته قسمين هما « الرياضة البدنية » و « الطب » كما أميز في السياسة بالمثل « التشريع » ويقابل الرياضة البدنية ،

(١) أشار سقراط في العدد الماضي إلى أن البيان الذي يتشدق به السفسطائيون ليس من الفن في شيء ، وأنه كالطهي سواء بسواء وسنرى اليوم كيف يثبت هذه الدعوى ، وكيف يجعل الطهي والسفسطة والتزين والبيان أقساماً للتملق والرياء ، ثم كيف يبتني على معنى « القوة » ليبين أن الطغاة والجبابرة أضعف الناس جميعاً (المعرب)

(٢) يشير إلى جوهري النفس والجسد وقد تناولهما قبل ذلك (المعرب)